المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير خلق الله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أمّا بعد:

فقد ورثنا من نحاتنا العرب إرثًا نحويًّا ضخمًا تعاقبوا على بنائه قرونًا عديدةً حلّلوا فيها الكلام العربيّ إلى أجزائه الصغيرة، فجعلوا أقسام الكلام على حدّ عبارة ابن مالك في الألفيّة[1]:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثمّ حرف الكلم

ولا يخفى أنَّهم تناولوا أقسام الكلمة بالدرس والتحليل في أبوابٍ عريضةٍ للاسم وما يتعلّق به من القضايا النحويّة، وكان الأمر كذلك بالنسبة إلى الفعل، وكذلك الحرف على الرّغم من كونه أصغر وحدة في التّركيب؛ فاهتموا به ولم يتركوه هملًا، فخصّصت له بعض الأبواب النحويّة بل المؤلفات. وفي هذا المضمار يقول المراديّ "فإنّه لما كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفه، مبنيّاً أكثرها على معاني حروفه صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها و تفصيلها. وهي مع قلّتها، وتيّسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلّا لمن يعانيها"[2] وتعتبر حروف المعاني حسب المالقيّ "أكثر دورًا، ومعاني معظمها أشدّ غورًا، وتركيب أكثر الكلام عليها ورجوعه في فوائده إليها"[3]، وبالنظر إلى هذه الوظائف النحويّة والدلاليّة المركزيّتين لحروف المعاني فإنّ "معرفة ذلك –أي حروف المعاني– من المهمّات المطلوبة ؛لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها"[4]؛ فلا غرو في أنّ هناك العديد من المصنّفات التي اختصّت بدراسة حروف المعاني دون غيرها، منها على سبيل الذكر **حروف المعاني** للزجاجيّ، و**معاني الحروف** للرمانيّ، **والأزهيّة في علم الحروف** للهرويّ، و**شرح معاني الحروف** للمجاشعيّ، و**رصف المباني في شرح حروف المعاني** للمالقيّ، و**الجنى الداني على حروف المعاني** للمراديّ.

وبهذا يتضح مدى أهميّة حروف المعاني في الكلام ومركزيّتها في الكلام العربي، وما تؤديه من وظائف نحويّة ودلاليّة، وما يتعلق بفهم المعاني؛ وهي لهذا ذات مسائل دقيقة تستحق الاستقصاء والدراسة، والمتتبّع للأبحاث النحوية في هذا المجال يجدها قليلةً جدًا في دراسة النتاج النثري مقارنة بنظيره من النتاج الشعري.

---

(١) ألفيَّة ابن مالك، ابن مالك (١)

(٢) الجنى الداني، المراديُّ (١٩)

(٣) رصف المباني، المالقيُّ (٢٤)

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطيُّ (٥١٦)

وفي ضوء هذه المعطيات رأى البحث أن يوجّه نظره إلى النتاج النثريّ الأدبيّ، ويدرس فيه حروف المعاني وقد اختار **رسائل الجاحظ**؛ لرصانة عبارتها وإشراقها ميدانًا للتطبيق؛ ليكون عنوان البحث "**حروف المعاني في رسائل الجاحظ** دراسة في التركيب والدلالة".

وتنبثق أهميّة هذه البحث من كونه يسلّط الضوء في الدراسة النحويّة على النتاج النثريّ الأدبيّ لأديب عربيّ مشهود له بالفصاحة والبلاغة وعمق الفكر وجزالة الأسلوب والثراء اللغويّ ألَا وهو الجاحظ، والذي قد تلقّى اللغة العربيّة على أيدي علماء جهابذة كأبي زيد الأنصاريّ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وخلف الأحمر، وأبي عمرو الشيبانيّ، وغيرهم. وقد اتضح أثر هذه اللغة فيما ألّف الجاحظ، ولا سيّما في الرسائل التي سوف نهتمّ بها؛ فكان انطلاقًا من هذا ومن غرض إثراء المكتبة العربيّة إيثار البحث لدراسة أثر أدبيّ لهذا الأديب الأريب عبر رحلة شاقّة عسيرة؛ إذ لم يسبق هذا البحث من وقف على نصوص الجاحظ لدراستها دراسة نحويّة مفصّلة.

وتنبثق أهميّة دراسة حروف المعاني في **رسائل الجاحظ** على وجه الخصوص وذلك من خلال كثرتها في رسائله؛ إذ لا تخلو جُمَله طالت أو قصرت من حرف إلى حرفين من حروف المعاني بنوعيها العاملة وغير العاملة، وهذه الكثرة بحاجة إلى دراسة تستقصي دلالاتها و استعمالاتها. وفي مقابل كثرتها فإنّ استعمالها في التراكيب يعد استعمالًا دقيقًا، ولوظائف مهمة، ولمعانٍ مختارة بعناية. ومن الخصائص التركيبيّة لحروف المعاني في **رسائل الجاحظ** ما يتعلق بالزيادة، والتضمين أو إقامة بعض الحروف مقام أُخر، وانزياحها ولو قليلًا عمّا قرَّره النُّحاة.

إضافة إلى كون هذه الدراسة دراسة نحويّة تطبيقيّة تخرج من نطاق التنظير لتطبق على إنتاج أدبيّ، وعلى ما تفيض به اللغة العربيّة، علّنا نثري الدرس النحوي وما جاء به النُّحاة فيما يتعلّق بالقواعد والأحكام النحويّة.

وتكمن مشكلة البحث في دراسة حروف المعاني في **رسائل الجاحظ** في التّركيب والدّلالة، وذلك عن طريق تتّبعها في مواضع ورودها في نصوص الرسائل، وما يتعلّق بها من قضايا نحويّة ودلاليّة، وتنطلق رحلة البحث؛ لتجيب عن السؤال الرئيس:

ما هي حروف المعاني الواردة في **رسائل الجاحظ** وخصائصها التركيبيّة بالنظر إلى موقعها، وما يتقدّمها أو يلحقها؟

وتنبثق من هذا السؤال أسئلة فرعيّة، منها:

- ما عدد حروف المعاني الواردة في **رسائل الجاحظ**، وما أكثرها ورودًا؟
- ما المعاني المتعلّقة بهذه الحروف في النصّ، وهل تماثل المعاني الواردة عند النُّحاة؟
- ما المعاني الجديدة لحروف المعاني في **رسائل الجاحظ** إن كانت لها معانٍ غير التي أوردها النُّحاة؟
- ما الخصائص التركيبيّة والوظائف النحويّة لهذه الحروف في **رسائل الجاحظ؟**
- هل للرسائل باعتبارها فنًا أدبيّا نثريًا أثر في استعمال حروف المعاني في **رسائل الجاحظ؟**
- وهل للسياق اللغويّ وغير اللغويّ أثر في استعمال هذه الحروف، وذلك من خلال التراكيب الشائعة في أكثر الرسائل، والتي لم يسبق استخدامها فيها؟

ويهدف البحث لما يأتي:

- الاطّلاع على مجمل حروف المعاني بعد جمعها وحصرها، كما جاءت في الرسائل، وتبيّن معانيها والكشف عمّا ورد منها، وما لم يرد، وأيّ الحروف الأكثر ورودًا والأقل ورودًا.
- الكشف عن الخصائص التركيبيّة والوظائف النحويّة في التراكيب لحروف المعاني كالعمل، والتضمين، والتعليق، والزيادة.
- الكشف عن مدى تماثل استعمال الجاحظ لحروف المعاني سواء في المعاني أو الوظائف النحويّة مع ما ورد عن العرب.
- الكشف عن دور حروف المعاني في بناء **رسائل الجاحظ** من خلال تتبّع استخدامه لها في سياقاتها المختلفة.
- تنمية الاطّلاع على التراث النحويّ فيما يتعلق بحروف المعاني ومسائلها النحويّة، وتتبّع ورودها في سياق نتاج أدبيّ نثريّ له قيمته، ممَّا يسهم في تكوين الملكة اللغويّة.

والدراسات السابقة في هذا الموضوع ما يأتي:

بعد البحث في كشّافات الجامعات وبوّابة الأفق – مكتبة الملك فهد الوطنية – والفهرس الموحّد – مكتبة الملك عبدالعزيز العامة – ومراسلة مركز الملك فيصل والمواقع الالكترونيّة المختلفة، فقد تبيّن لي أنَّ الدراسات النحويّة التي تناولت **رسائل الجاحظ** دراستان، وهما:

–دراسة بعنوان **حروف الجرّ في رسائل الجاحظ، دراسة في التركيب والدلالة،** بحث ماجستير، جامعة الملك سعود، كليّة الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٣٤هـ.

ومن خلال عنوان الرسالة يتبيّن أنَّها مقتصرة على حروف الجرّ فقط، ولا شكّ أنَّ حروف الجرّ هي جزء من حروف المعاني، وليست كلّها، ولا أرى أنَّ دراستها تمنع من هذه الدراسة؛ لأنَّ حروف المعاني أوسع وأشمل من حروف الجرّ.

-دراسة بعنوان **الجملة الخبريّة في نثر الجاحظ** أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

وهذه الدراسة تتعلّق بدراسة الجملة الخبريّة البسيطة والموسّعة، وقد قسّمها المؤلف إلى ثلاثة أبواب: الباب الأوَّل درس فيه الجملة الاسميّة البسيطة والجملة الفعليّة البسيطة، وأنماط الجملة الفعليّة المحولة، ودلالة النسبة في الجملة الخبريّة. والباب الثاني درس فيه الجملة الخبريّة الموسّعة، ودرس فيه الجملة المؤكّدة، والتعبير عن النفي، ودرس التبعيّة أيضًا كالنعت والبدل، كما درس التعليل، والوسائل النحويّة للتخصيص الدلاليّ في الجملة الخبريّة. والباب الثالث درس فيه الجملة الخبريّة بين الجاحظ وآراء النُّحاة، والجملة الخبريّة واتجاهات التغيير فيها متبعًا إيّاها بجداول إحصائيّة للجملة الخبريّة.

ويتبين من هذا العرض أنَّ الدراسة المقترحة تختلف عن هذه الدراسة في نقطتين، هما:

- أنَّ هذه الدراسة شملت نثر الجاحظ كلّه حيث الرسائل وغيرها، نحو: البخلاء، على حين أنَّ هذه الدراسة تقتصر على دراسة **رسائل الجاحظ**.
- أنَّ هذه الدراسة تدرس الجملة والجملة الخبريّة على وجه الخصوص، على حين أنَّ هذه الرسالة تختصّ بدراسة حروف المعاني.

وقد آثر البحث سعيًا لتحقيق أهدافه أن ينتهج المنهج الوصفيّ التحليليّ، وسيرتكز فيه العمل على جمع وحصر حروف المعاني الرائجة في **رسائل الجاحظ**، ثمّ تصنيفها وفق تقسيم ابن مالك لحروف مختصَّة بالأسماء، وحروف مختصَّة بالأفعال، وحروف مشتركة بين الأسماء والأفعال، وفي مسألة ترتيب الحروف داخل المباحث فقد رتّبت في المباحث التي تنطوي على أبواب نحويّة في ألفيّة ابن مالك وفق ترتيبه؛ فكان هذا في كلّ من المباحث الآتية: الحروف الناسخة، وحروف الجرّ، وحروف النصب، وحروف الجزم والشّرط، وحروف العطف، أمّا في المباحث المتفرِّقة فقد اعتمد البحث في ترتيبها وفق حروف الهجاء؛ وفي دراسة كلّ حرف يتعرّض البحث لكيفيّة وروده عند الجاحظ مستعينًا بالمنهج الإحصائيّ، ومسترشدًا بما ورد عند المراديّ في **الجنى الداني**، وابن هشام في **مغني اللبيب**؛ باعتبارهما متخصصان في حروف المعاني، مع الاستشهاد على كلّ ما يذكر بنَّ من الرسائل يليه رقم الجزء والصفحة، وهذا في المتن؛ لئلا يستغرق التوثيق

في الهامش صفحات كثيرة، ثمّ يليه عرض النتائج الخاصّة بالحرف، ويتوخّى البحث فيها قراءة الدراسة الإحصائيّة السالفة؛ ليعطيها معنى نحويًّا، وهكذا في كلّ الحروف، ثمّ يليه عرض النتائج العامّة للحروف المنطوية تحت المبحث الواحد؛ لبيان أكثرها ورودًا وأقلّها مع الإشارة لما لم يرد منها، ليخرج بتصورٍ شاملٍ عن الحروف ومدى اتساق دلالاتها وتراكيبها واستعمالاتها مع ما ذكر عند النُّحاة.

ورأى البحث لتحقيق أهدافه أن يوضع في ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، وتقفوها خاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه حديث مختصر عن حروف المعاني ووظائفها النحويّة والدّلاليّة التي تقوم بها في التّركيب، وحديث آخر عن **رسائل الجاحظ**، أغراضها وأنواعها ومناسباتها.

الفصل الأوّل: وفيه حديث عن حروف المعاني المختصَّة بالأسماء في **رسائل الجاحظ**، وهي: الحروف الناسخة، و حروف الجرّ، و حروف متفرِّقة، نحو: **إذا الفجائية، وأل التعريف، وما العاملة عمل ليس**، وغيرها.

الفصل الثاني: وفيه حديث عن حروف المعاني المختصَّة بالأفعال في **رسائل الجاحظ**، وهي: حروف النصب، وحروف الجزم والشرط، وحروف متفرِّقة، نحو: **أَلَا، أنْ المصدرية، قد، السين**.

الفصل الثالث: وفيه حديث عن حروف المعاني المشتركة بين الأسماء والأفعال في **رسائل الجاحظ**، وهي: حروف العطف، وحروف الاستفهام، وحروف متفرِّقة، نحو: **أنْ الزائدة، إنْ النافية، واو الاستئناف**. ثمّ الخاتمة والاستخلاصات، تتلوها الفهارس الفنيَّة التي تتطلَّبها طبيعة البحث.

وبعد فإنّ هذا جهد مقلّ بذلت فيه ما مكنني الله من جهد ووقت محاولةً الإصابة في التعامل مع نص لم يسبقني أحد يعينني على قراءة حروف المعاني فيه مكتملة قراءة نحويّة؛ فما كان فيه من خلل وتقصير فإنه عمل فرديّ وبشريّته منبع نقصه، وإن كان من إصابة فهذا ما سعينا إليه ووقفنا له. ولا يسعني في هذا المقام إلَّا أن أتقدم بكلّ الشكر والعرفان لوالديّ الكريمين اللذين قد حفّتني دعواتهما آناء الليل وأطراف النهار، كما أشكر أستاذي الكريم **الأستاذ الدكتور**: عبدالحميد **النوريّ عبدالواحد** الذي ما توانى ولا ادّخر جهدًا في تقويم البحث وتعديل مساره وإنارة الطريق أمامي، والشكر موصولٌ إلى المناقشين الكريمين على ما قدّماه للبحث من الوقت والجهد لتقويمه. وأسأل الله حسن القصد، وتمام العمل، والثبات على طلب العلم والعمل به، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.